

«لا يمكن لأحد أن يكون مسؤولاً ويصاب باليأس بأن واحد»

كتاب طيار حربي للكاتب إيكزوبري (1900م – 1944م)

## الفصل السابع

### ما العمل؟

### ماذا على كل أن يفعل؟

إلى القراء الذين تحلوا بالصبر بمرافقتنا حتى الآن، أو إلى الذين قلبوا بسرعة فهرس الكتاب ليصلوا إلى الباب الأخير، كي يحصلوا على بضع وصفات سريعة ورخيصة ليحلوا مشكلة أطفالهم والتلفاز، نجب أن نقول وبأعلى صوتنا: بأنهم لن يجدوا خلال الصفحات التالية خطة يتبعونها عامة ومنقذة بأن واحد.

أولاً: لأنه لو كانت هناك خطة فنحن لم نجد لها بعد، ثم لأننا نرفض أن ندعي الحق والكفاءة في «إعطاء الدروس» في مجال كثرت فيه المتغيرات النوعية والاجتماعية والتعليمية وتنوعت.

### الوالدان اللذان لا يمكن استبدالهما

إن استنتاجاً تخلص إليه كل الكتب والدراسات واستطلاعات الرأي والوثائق المتعلقة بالتلفاز والأطفال هو: أن دور الوالدين والوسط العائلي الأساس في التعلم واكتساب المهارات، وفي إدارة الوالدين والوسط العائلي الأساس في التعلم واكتساب المهارات، وفي إدارة هذه الوسيلة الإعلامية المدهشة والمثيرة للجنون بأن واحد والسيطرة عليها، والتي تُدعى: التلفاز.

أمر بدهي؟ ربما! ولكننا نعتقد أن الطريقة الأمثل هي نسبة كل شيء لفاعله، وأن نعيد للأهل مهمة تربية أطفالهم، فمن جانب يجب علينا دعم الوالدين في دورهم كأول المرشدين، ومن جانب آخر تشجيعهم من خلال تأكيد فكرة أن الوقت ليس متأخراً لزيادة الجهد المبذول.



إن إلقاء مسؤولية ثقافة تلفازية سليمة على عاتق الوالدين فقط هو ليس إلزام قيصر بما يجب أن يفعله بونس بيالات، ولكنه دليل على جهل مُطبق بقدرة الوالدين على التربية، وبالوقت والجهد اللذين يمكن أن يخصصهما الوالدان لهذا الأمر.

لا شك في أن دور العائلة هو الأساس في هذا المجال، كما هي الحال فيما يتعلق بالنجاح المدرسي، وإن الفشل الواضح لمحاولة مساواة الفرص أمام الدراسة يُظهر بجملاء استحالة إزالة الفوارق الاجتماعية والثقافية، حتى في مؤسسة لها جدية ونظام وترتيب المدرسة، إضافة إلى كونها مجانية وإجبارية.

فالتلفاز سواء أحببناه أم كرهناه هو الآن وسيبقى وسيلة الترفيه السهلة والمفضلة لدى العديد من بني البشر، وعند الأغلبية الساحقة من أطفالنا، إن محبي التلفاز النادرين مثل أريان وفرانسوا مارييه يسرههم هذا الكلام، ويجدون في الساعات التي يقضيها الأطفال أما التلفاز الخيط الأحمر الذي يربط الطفولة بالتقنيات الحديثة وتطبيقاتها المنزلية، ولكنهم لا يستطيعون إسكات التساؤلات المُبررة لكل المُربين تجاه هذا التلفاز الذي يصطاد الأطفال.

ما العمل؟ وما مسؤولية كل شخص؟

إلى جانب الوالدين - وهما القاعدة الصلبة للتربية - رقيقي القلب، والذين يتمتعان بقدرة كبيرة على التحمل، يوجد شركاء آخرون يجب عليهم التدخل وربما التعاون ليساعدوا أطفالنا على جعل هذه الوسيلة الإعلامية المسلية إلى حد كبير والمخدرة بأن واحد عبداً مُطيعاً بدلاً من أن تكون سيداً متسلطاً.

من بين هذه الأطراف المعنية بالأمر، و المصابة بالدهشة أحياناً يمكننا أن نُعدد السلطات التشريعية العديدة، ومُحترفي التلفاز، والمدرسين وأعضاء السلك التعليمي، والأطفال أنفسهم طبعاً.

إن الأمور الآتية ليست شاملة، ولا تتعدى عدة نصائح نسمح لأنفسنا بتوجيهها إلى من يعينهم الأمر، وسواء كانت توبيخية أو غير موضوعية أو بسيطة أو حرفية فالقارئ سيحكم ويجرب ويتنبى أو يتأقلم معها بحسب رغبته وحاجاته وتعقله وشجاعته.

### كيف ندافع عن أنفسنا في وجه التلاعب؟

ما العمل؟ هل هو كسر التلفاز، أم التوقف عن قراءة الجريدة؟ هذا لن يمنع المعلومات المشوهة من إحداث الخراب فيما حولكم. إذاً ماذا بإمكاننا أن نفعل في وجه وسائل الإعلام هذه التي تجتر نفس المشاهد ونفس المعلومات؟

نريد أن نختم كلامنا ببعض الاقتراحات الجديدة، على مختلف المستويات، لمستهلكي المادة الإعلامية، كيف يمكننا كشف وتحليل محاولات التلاعب بالرأي بأنفسنا؟

هل من الممكن إصلاح وسائل الإعلام بشكلها الحالي؟ أو الضغط عليها على الأقل؟ هل يمكننا أن نلعب دوراً فاعلاً في الإعلام دون أن نكون من أهل الاختصاص في هذا المجال؟ هل توجد صحافة غير خاضعة لنظام الهيمنة؟ أو طريقة للقراءة الناقدة؟

الإعلام لا ينجو من قانون القوة والسيطرة الذي يتكلم عنه. فالذي ينشر معلومة يتوقع أن يكون لنشرها أثر، وصحافتنا حسب ما

تؤكد لنا غير مستقلة، وهي ضمن المنظومة الاقتصادية والسياسية للأغنياء والمسيطرين في هذا العالم، ولذلك فهي عندما تنشر معلومة، فالموقف المنطقي يقتضي أن نتساءل من وراء هذه المعلومة، ولصالح من يتم نشرها؟

إن الحفاظ على الاستقلالية كان أسهل، ونشعر بذلك عندما نعيد قراءة مقالات كتبت قبل ثلاثين أو أربعين عاماً، في مقالات تلك الحقبة حول حرب المستعمرات في الجزائر أو فيتنام يمكننا اليوم أن نستشف بسهولة أكبر المصالح الاقتصادية غير المعلنة، والعنصرية والأفكار المسبقة المبنية على نظريات أديولوجية مبطننة، اخترع المؤرخون طرق «النقد التاريخي» التي تسمح بتقييم دقة الوثائق وشهادات الناس على ما حصل في الماضي، إن الأمر المثالي هو أن نستطيع قراءة جريدة حالية بنفس الرؤية، ونفس النظرة الناقدة أمام أي معلومة وخاصة تلك الصادرة عن وسيلة إعلام تدعي الحيادية والاستقلال، إليكم خمسة أسئلة أساسية يجب عليكم طرحها.

1. من أصل المعلومة؟
  2. ما المصلحة الذاتية في هذا الأمر؟
  3. ما الأيدولوجية التي تحرك الشخص المتكلم؟
  4. هل هو ينقل لنا بأمانة وجهة النظر المخالفة، أو يدلنا أين يمكن أن نجدها؟
  5. هل يوضح لنا الأسباب الحقيقية للمشكلة؟
- ميشيل كولون صحفي وكاتب في الجريدة الأسبوعية البلجيكية «سوليدير».

## العاملون في حقل التلفاز

لنتذكر أولاً أن التربية والثقافة مازالتا هدفين مُعلنين بوضوح ضمن التزامات التلفاز الحكومي.

ورغم ذلك، وتحت ضغط المنافسة فإن الجزء المخصص للتسلية قد ازداد خلال سنتين في أوروبا بنسبة تزيد عن 10%، وتشكل البرامج الأمريكية التي تقترب قيمتها التربوية والثقافية من العدم 21% من وقت الإرسال على مختلف المحطات في القارة الأوروبية في العام 1987م. وفي سويسرا بلد المُربين المشهورين العظام، والتي كانت إذاعتها ومحطاتها التثقيفية تذكر دائماً كمثال في السبعينات، بُرّجت على محطة التلفاز السويسرية الناطقة بالفرنسية في العام 1989م أربعون ساعة بث تعليمية فقط، وهذا يُعادل خمسة عشر يوماً في سنة مشاهدة تلفازية للطفل.

تصرح بوليت مانيونا - المسؤولة التربوية، ومنتجة البرامج في المحطة الثقافية -: «تُعرض البرامج التربوية في أوقات المشاهدة الضعيفة، وهذا يعني في أوقات من النهار يستحيل فيها الحصول على نسبة عالية في سوق المشاهدة، فالنسبة للتلفاز السويسري الناطق بالفرنسية، لا يعتبر تثقيف الأطفال والبالغين من مهامه ذات الأولوية»، الكلمة المتداولة على الألسن هي: «الحصة في السوق»! إن خصخصة المحطات الحكومية وتكاثر المحطات التجارية أدت إلى كون الإعلانات الوسيلة الضرورية للاستمرارية، وأدت حُمية نسب المشاهدة ومتابعة التلفاز لإلهاب محطات التلفاز الحكومية، وجعلت من منتجها ومُقدميها أبناءً للدعاية والإعلان، ذوي شرف مهني مطاط إلى حدٍ كبير.

فيجب الحصول على رضا الجمهور، وأن يُقدم له ما يريد: تسليّة سهلة ولُعباً جماعية ومسلسلات عاطفية وفكاهية، وأفلاماً فيها شيء من الإثارة الجنسية تُدعى أدياً أفلاماً ديناميكية... صوت الشعب!

وعندما يُسأل المسؤولون في المحطات التلفزيونية عن العنف أو التساهل في عرض البرامج المنحلة، فإنهم يجيبون بدون تردد: بأن مهمة التربية منوطة بالوالدين وربما المدرسة، وأن مهمتهم الرئيسية هي إدارة هذه الشركات بقدر ما يستطيعون، لتأمين مرتبات العدد الكبير من العاملين فيها، وأن الدعاية التلفزيونية ومن ثم نسب المشاهدة هي شر لا بد منه، وأن الحرب بين المحطات ضروس، وبما أن المال لا رائحة له، وأن الإنتاج التلفزيوني المحلي غالٍ إلى هذه الدرجة، فيجب التوقف عن إزعاجهم بالحقن الرصين لأمهات الفضيلة، وأن كل المنافسين يفعلون نفس الشيء.

لا يمكننا إلا أن نوافق على هذه الحجة الأخيرة فهيئة الإذاعة والتلفاز البلجيكية الناطقة بالفرنسية RTBF تشابه كثيراً هيئة الإذاعة والتلفاز السويسرية الناطقة بالفرنسية RTSR، والتي تقلد بدورها إلى حد كبير محطة التلفاز الفرنسية الحكومية الثانية France 2، والتي لا توجد بينها وبين المحطة الفرنسية الأولى TF1 الخاصة والمثيرة للجدل فروق كبيرة.

هل هذا مؤشر لانتصار الرأسمالية العتيدة وعقلية الرداءة المنفلتة في أدنى مستويات الانحطاط الثقافي؟ فما فائدة التبجح بالمنافسة الحرة، والحرية الكاذبة للمشاهدين الذين بإمكانهم الاختيار بين عشرين محطة متشابهة، كونها تسعى وراء نفس الأهداف؟

ما مبرر محطات التلفاز الخاصة التي تحذو تحذو المحطات الأمريكية في تغطية أحداث المجتمع الأكثر غباءً والأكثر دموية وعُنفًا، لترضي حاجة الجمهور للحصول على جرعته من الإثارة ومنظر الدم؟ ولماذا يسمح لأشخاص ومصورين محترفين بالوجود في شوارعنا يتصيدون الأحداث الساخنة الحية، ويترصدون مشاهد الدم التي تسبق الموت، ويصورون جثثاً هامدة مازالت دافئة، وقاتلين وهم في أوج فعاليتهم. وإذا كان الأطفال يشاهدون ذلك فالأمر سيان لسوء أو لحسن الحظ، فهذا يزيد مشعر المشاهدة، إضافة إلى أنه يفتح عيونهم على ما يجري في الحياة الحقيقية، إن هذا الأمر تربوي حقاً، وفاضح إلى حد كبير! وتلخص الصحفية ساندرين كوهين الموضوع كما يلي: «كواسر حقيرة ومحطات تلفاز دنيئة تحاول أن ترضي ضميرها بتأكيد أنها تعرض على المشاهدين ما يريدون، بدل أن تعرض عليهم ما يمكن أن ينال إعجابهم».

لحسن الحظ نحن في أوروبا لم نصل بعد إلى هذا الحد، وبعض الصحفيين والمخرجين و المنتجين يصرون على إنتاج تلفاز نظيف ونزيه. فحتى متى يستطيعون الصمود في وجه أبواق وأدعياء المشاهد المثيرة الواجب الحصول عليها بأي ثمن، وأمام الغش والخداع المسيطرين على زملائهم في العمل؟ أخيراً أصبحت «العلبة» تشبه سلة مليئة بالسرطانات (حيوانات بحرية). أخبرنا بهذا صديق يعمل في مجال الإنتاج التلفازي إننا إذا أدركنا حقيقة ما يحصل من ثورات متتابة في بلاط المحطات التلفازية المختلفة، لقلنا لأنفسنا إن من الأفضل لنا أن نعمل في مجال البناء أو البنوك... أو التعليم، قد يردون علينا أن النقد سهل وعبثي، وأن «الفن» التلفازي يبقى معقداً، ونحن نقر تماماً بأن مشاحنات الواقع التجاري الهابط لا بد أن تجعل

العاملين في التلفاز يتحرقون لإنتاجها. ويبدو لنا أن من الأمانة أن نعرض عليهم بعض القضايا العملية، وبعض الإرشادات المنتقاة هنا وهناك خلال مطالعاتنا ومحادثاتنا وتأملاتنا. ونأسف إن سخر منا العاملون في التلفاز، ولكننا نكون قد حاولنا أن نقنعهم بأن عليهم واجباً إعلامياً نبيلاً عليهم ممارسته مع المشاهدين عامة والأطفال خاصة.

### الأطفال هم الضحية

لا يشتكي الأطفال، رغم نمطية البرامج فأكثر من نصف الذين بلغوا 18 عاماً يؤكدون أنهم يحبون مشاهدة المزيد من الرسوم المتحركة!

باستخدام التعابير التقنية يدعى مسلسل للرسوم المتحركة «منتج»، وينطبق عليه عادة نوعان من المعايير: أولهما سعر منافس في السوق العالمية، فإنتاج ساعة واحدة من الرسوم المتحركة يكلف بين 3 و4 ملايين فرنك فرنسي، ولكن بمجرد ظهوره على المحطات اليابانية والأمريكية، تباع الساعة بسعر يتراوح بين 40000 و20000 فرنكاً، وطالما أن الأمر كذلك فما الفائدة من أن ننتج رسوماً متحركة بأنفسنا، ولماذا نهتم بالإبداع الأصيل؟ إضافة إلى أن «المنتج الجيد» يجب أن يكون موجهاً لشريحة عمرية متوسطة: وكلما توجهنا إلى شريحة عمرية أضيق قل عدد المشاهدين، وهذا من مبادئ الرياضيات، ولذلك فإن الأطفال الأصغر سناً والمراهقين هم الذين لا يحصلون على حقهم في هذا الخضم الإعلامي.

ولهذا فإن ما ندعوه «التلفاز العائلي» (خليط غير متجانس من الألعاب والمسلسلات الموجهة لعموم المشاهدين) يهددنا.

فالتصوير والممثلون والموسيقيون لا تكلف أقل عندما يكون المنتج موجهاً للأطفال، فساعة من الخيال العلمي على التلفاز تكلف 2-3 ملايين فرنك، بينما يكلف فلم وثائقي أو نشرة الأخبار 400000 - 150000 فرنك، ومن ثم فإن البرامج ذات القيمة هي مخصصة للفترة المسائية وللبالغين.

### ما المتوقع من العاملين في حقل التلفاز؟

- عرض برامج جيدة من حيث الشكل والمضمون.
- أن يتذكروا دائماً أن التربية والثقافة تبقى من المهام الرئيسة للتلفاز، وأنها ليست ملجأً يلجأ إليه لملء أوقات مشاهدة ضعيفة وغير معروفة.
- الابتعاد عن كل دعاية تجارية في الأوقات المجاورة للبرامج المخصصة للأطفال.
- القبول والرغبة في الحوار والنقاش والتعاون مع المربين: والدين ومدرسين.
- الامتناع عن استخدام الأطفال لأغراض دعائية.
- إعلام الأطفال بالبرامج المخصصة لهم (كل يوم على محطات التلفاز، ومرة بالأسبوع من خلال مجلات البرامج التلفازية الأسبوعية المخصصة لذلك).
- مشاركة الأطفال في إخراج وتقييم البرامج.

- احترام حرية الأطفال الجسدية والنفسية بالابتعاد خاصة عن نشر البرامج العنيفة صوتاً وصورة.

### أنا أقلب إذا أنا أتابع!

(سؤال: هل كلمة Suis الفرنسية تعني الضمير أنا، أم الفعل أتابع؟)

هذه الثورة التقنية الخالصة والتي تتمثل بالتحكم عن بعد لها انعكاسات حساسة على طريقة قيامنا باغتسالنا (التلفازي) اليومي؟

إن العاملين في حقل الإعلان التجاري يطرحون على أنفسهم هذا السؤال المُلح، والذي يكتسب لديهم طابعاً إستراتيجياً مصيرياً.

لا توجد معطيات متوفرة في سويسرا، ولكن في فرنسا أظهرت دراسة أجرتها الهيئة المختصة بتأثير الإعلام أن 43% من المشاهدين يعتبرون «ثابتين» في الفترة المسائية بين الثامنة و25 دقيقة والثامنة و55 دقيقة، وهي نصف ساعة مشبعة بالدعايات التجارية، وخلال هذه الفترة فإنهم إما لا يقلبون المحطات أبداً أو مرة واحدة فقط.

أما الذين يقلبون المحطات بين 2 و5 مرات فإنهم يشكلون الشريحة الثانية من حيث الأهمية: 45% من «المشاهدين». وتبقى شريحة صغيرة تعادل 12% من «المقلبين بكثرة» الذين يستخدمون جهاز التحكم عن بعد 6-14 مرة خلال الثلاثين دقيقة المذكورة نفسها (أرقام مأخوذة من «التلفاز» كتاب كتبه بياتريس بروكار ونشرته دار النشر ليوكومان (Lieu commun). ليس هناك ما يدعو للخوف، إذاً إليكم المزيد.

بلند، بول.

- في كل البرامج يجب العناية بالتأثيرات الصوتية والتعليقات، ويجب تجنب الكلمات النابية.
- الاهتمام بتطوير النقد الموجه للبرامج المخصصة للأطفال.

نقاط مستقاة من المراجع الأساس الآتية: «الطفولة الصغيرة» برو جوفينتون؛ «النضج التلفازي» كيت مودي، تأثير التلفاز؛...

### الدولة رمز السلطة والتشريع

إن كثرة الكلام حول أخطار التلفاز، وخاصة على الطفولة والشببية، يؤدي بالضرورة للتشوق لإصدار قوانين تضبط الأمر.

ونحن لا نريد لكتابنا المتواضع أن يدعم الغاضبين الذين يرون في «المنع» رديفاً «للحماية».

نحن لا نهمل بالتأكيد الملاحظات السلبية الموجودة في العديد من صفحات عملنا حول الآثار الهدامة لبعض استخدامات التلفاز؛ ولكن بين هذا الموقف ومطالبة السلطات التشريعية بقوانين جديدة وتأسيس هيئات جديدة للرقابة هناك خطوة لا نريد أن نخطوها بأي حال من الأحوال.

يبدو لنا أن القوانين التي تفرض - كخدمة عامة - على محطات التلفاز في معظم البلدان أن تعرض «برامج تربوية ثقافية» كافية، ولكن لا يتم تطبيقها، فالقانون الفرنسي - على سبيل المثال - يخول هيئات تنظيمية متعاقبة مسؤولية «السهر» على حماية الطفولة والمراهقة عند برمجة العرض التلفازي «فقرة 15 من القانون الصادر في عام 1986م والذي يتعلق بحرية الإعلام».

ويجب على محطات التلفاز أن تخبر المشاهدين عندما تكون هناك نية لعرض برنامج يمكن له أن يصدّم عواطفهم، وخاصة أحاسيس الأطفال والمراهقين». كلنا يعرف المربعات البيضاء المشهورة والتي تشير لوجود العنف أو المشاهد الجنسية الفاضحة، والتي تختلف حسب البلدان والمحطات التلفازية بين المثلث الأحمر والمستطيل الأزرق.

وقد ذهبت المحطات التلفازية الأمريكية الكبرى، لمنع تدخل مجلس النواب الذي بدا لها شديد الإزعاج، إلى تبني نظام «الدليل المسبق للوالدين» في تموز 1993م (الطبعة الأمريكية من المربع الأبيض)، وتعهدوا فوق ذلك بعدم عرض برامج تحوي عنفاً لا مبرر له قدر المستطاع.

ولكن هذه التعهدات الجيدة لم تجد تطبيقاً في دنيا الواقع، وقررت هذه المحطات تحت ضغط الجمهور ومجلس النواب، وللحد من مشاهد العنف على التلفاز، وبحسب وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ 23 كانون ثاني 1994م، أن «تعيد تنظيم بثها بحيث تعلن عن محتوى البرامج التي تبثها» وذلك بدرجات متفاوتة، أما المحطات التي تبث بنظام الكابلات فقد نظم المبرمجون فيها خطة مكونة من 11 نقطة تسمح بتصنيف البث حسب درجة العنف الموجود فيه، واستخدام نظام يعتمد على رقاقة -ف (V-chip)، وهو نظام تقني يسمح للوالدين بمنع ظهور برامج يعتبرونها عنيفة جداً، ولكن المحطات الأربع الكبرى رفضت الخضوع لهذه الإجراءات (ABS, NBC, CBS et FOX) خوفاً من هرب المعلنين، ومن ثم انخفاض الربح الآتي من الإعلان التجاري، ولكن «الشبكات» الأربع قبلت بأن تتزود بنظام مشترك يؤمن مراقبة العنف في البرامج، وهذا اتفاق لا بد من موافقة إدارات المحطات عليه قبل تنفيذه.

بإمكاننا أن نجد في السطور - أو فيما بينها - العديد من الكلمات مثل: المعلنين والرسوم الدعائية، والاتفاق بين المحطات المتنافسة، وحرية التصرف، وموافقة إدارة المحطات، والعديد من الكلمات في هذه العجالة التي توضح الصعوبة التي يجدها واضع القوانين عند ممارسة دوره الأخلاقي، والذي لا يحول عدم المسؤولية التجارية إلى فضيلة.

إن واحداً من أحر أمانينا التي نتوجه بها إلى المسؤولين عن التلفاز، هو الابتعاد عن تحرير البث من أية رقابة، وخاصة بوجود المحطات الخاصة الجشعة، والتي تقوم على البرامج الرخيصة السهلة الفوغائية، وتتضم إلى جملة المتقاسمين لكعكة الإعلان التجاري، إضافة لمحطات التلفاز الموجودة سابقاً والمجلات.

إن هذا الأمر لن يؤدي بالضرورة لتقليد سياسيينا درجة الشرف، ولن يرضيهم ففي الواقع، إذا كان معظم شبابنا مدمنين على التلفاز، ويتركون جانباً فعاليات «تربوية» مثل الرياضة، والأعمال المنزلية، والإبداع، والألعاب، بل ومجرد التعايش في أجواء الصحبة والصدقة، وذلك لأنه لا توجد أي بنية مناسبة لاستقبالهم بعد أن تغلق المدارس أبوابها؛ ولأن معظم النواب وممثلي الشعب من مختلف الاتجاهات الذين يهاجمون الدور المثير للشفقة للتلفاز على الشباب، ويقترحون قوانين صارمة ورقابة مشددة، قد يكون من الأفضل لهم أن يناضلوا لإنشاء خدمات ثقافية اجتماعية، ونشاطات موازية للفعاليات المدرسية، ومنتشآت إعدادية مهنية أو ثقافية لاستقبال اليافعين، ويقدموا للأطفال بديلاً مقبولاً عن التلفاز الذي غدا كالجنية الملعونة، وإذا كنا قد فرضنا - كما شرحنا سابقاً - على الأمهات العمل مقابل أجر، لأسباب اقتصادية وطنية واضحة، ولكن لا يُنصح بها

بالضرورة، فإن قليلاً من السياسيين انبروا فعلياً لتحضير المجتمع لمواجهة مشكلة عمل الوالدين الكامل.

### السياسات هي تُرهات

إن نجاح سيلفيو بيرلوسكوني لم يأتِ بمعجزة من السماء، وأنتم لا تجهلون حقيقة أن رجال السياسة يبذلون كل جهدهم للظهور على التلفاز.

وهذا دليل حي لغياب سلطتهم، فهم غير قادرين على إيصال أفكارهم، رغم أنهم يحتلون ساحة السياسة، ويسببون ظهور اللامبالاة في المجتمع، إن السياسيين يحتلون في أيامنا هذه خشبة مسرح تساعدهم على ممارسة السياسة الخيالية، ولكن هل بإمكاننا أن نقول بأن هناك سلطة إعلامية؟ لا، لا شيء يشير إلى أن بيرلوسكوني بإمكانه ترجمة سلطته الإعلامية بأمر سياسية. إن بيرلوسكوني هو نتيجة الإفلاس العام للسياسة، وضياح القيم والخداع الذي تمارسه نخبة المجتمع، ويعتقد العديد من الإيطاليين الذين نتناقش معهم، أن الفاشيين الجدد هم الذين كانوا الأكثر نجاحاً على التلفاز، ولكنني أقر بأن هذا الأمر ليس بالضرورة مؤكداً لنظريتهم، ولكنه يدعو إلى التفكير.

لا يبدو أن ديمقراطية التلفاز تشير في أنفسكم الخوف ...

نعتقد دائماً أن السياسة تتحكم بالجماهير من خلال التلفاز. ولكن هذه الفكرة غير صحيحة بالكلية، فالجموع من اللامبالين هي التي تفرض على السلطة السياسية تحييداً تسمح به وسائل الإعلام.

وهذا الاستهتار الشعبي، ألا يزعجكم؟

وأجيب فأقول: لا، فما يحصل في إيطاليا على سبيل المثال ينبئنا بما وراء هذه السياسة التي أشرت إليها، فأنا لا أستطيع أن أفهم حزننا على فئة سياسية تنهار كلياً، وأن نعتقد بأن واحد أن هذا الانهيار بديل أفضل لبييرلوسكوني، رغم أنني لا أكن لهذا الشخص أي ود.

أنتم لا تعتقدون بوجود ديمقراطية التلفاز؟

لا، أنا لا أعتقد بوجود تعاون عضوي بين الديمقراطية والتلفاز، إلا إذا اعتبرنا الديمقراطية خطاباً أجوفاً حول حقوق الإنسان، والقيم الجمهورية... الخ.

يوجد فخ قد نبهتكم إليه يكمن في الدفاع عن طبقة سياسية رأينا بأم أعيننا قيمتها الحقيقية.

ما الذي دفعكم للتفاعل ضد المشاهد التي نقلها التلفاز

عن سارا ييثو؟

الغضب: لقد استشاط غضبي ضد الطريقة التي استُغلت بها الصور دون تأنيب ضمير، كما لو كنا مُديري مسرح، فالיום تُبيض المشاهد كل شيء وتغسل الحقيقية. ويبقى الحل هو الكتابة عن المشاهد.

أقوال حصل عليها فيليب بوتوي، في حدث الخميس، 14-20 نيسان

1994م. مقابلة مع جان بودريار.

يذكرنا كتاب مقالة نشرت قبل عدة سنوات في مجلة سبيجل الألمانية، وينقلها فرانسوا مارييه بالحقائق الآتية: «من أصل 9.5 مليون طفل يرتادون المدرسة في ألمانيا، 1.3 مليون ينتمون لعائلات أربابها عاطلين عن العمل لمدة طويلة؟ و300 ألف طفل يخالفون القوانين المتعلقة بارتياح المدرسة، ويعملون جزءاً من اليوم ليحبوا بعض المال لعائلاتهم، فليس التلفاز هو الذي يتعبهم ويقلقهم ويغذي خوفهم، وإنما العيش ضمن عائلة ينقصها المال والكرامة والأمل، فالتلفاز ليس سوى قليل من الراحة وتغيير الجو وفسحة الأمل، إنه أفيون هذه الجماهير من الأطفال والمراهقين، إذا استخدمنا تعبير ماركس الذي قال: بأن الدين يخدر آلام المجتمع، فالتلفاز هنا يلعب دور المواسي في العلاج التلفازي لظاهرة البطالة».

## أخلاق سياسية

### المظهر سحق الكلمة

«....» إنني لا أسمع ما تقول لأنك تتكلم بصوت مرتفع جداً. العبارة صحيحة إلى حد كبير، فالحركة وتسريحة الشعر واللباس والعين وربطة العنق، وباختصار المظهر يسحق الكلمة والدليل والفكرة، فالموهبة يمكن لها أن تسوق الكذب، والمظاهر تستبدل الذكاء، وتحل الصورة محل المحتوى، فتخلوا أولاً مشهداً غير تقليدي! - مواجهة بين شارل ديغول وبرنار تابي...

تصوروا من ناحية الحركات الكبيرة للأيدي، والنظرة الثاقبة، والكلمات العريقة، والوقفات الطويلة، والرصانة الكبيرة، ومن ناحية أخرى النظرة المتلاعب، والعبارات السوقية، واللهجة الصاخبة...

من يُستمع إليه أكثر، ويفهم الناس أكثر اليوم؟ نعم، لقد تغير الزمن، إن الشرح الحاصل يفسره التلفاز: لم تكن الأسطورة الديغولية بحاجة للتلفاز لأن توجد، ولكن السيد تابي لا يساوي شيئاً دون التلفاز.

لقد أصبح التلفاز محطة اختبار السياسيين، سواء كانوا يمينيين أو يساريين، محافظين أو تقدميين، مجددين أو رجعيين، فهو يختار الذين ينجحون على الشاشة أو لا ينجحون، إن هذه التصفية لا تمارسها السلطة التي تسيطر على الأداة، من الآن وصاعداً سيسيطر التلفاز التجاري، ويكون حكماً في حيز الإعلام، فالفرق السياسي الأساس الآن هو: هل أنت ناجح على التلفاز أم لا؟

ألبيردو روا في مجلة «حدث الخميس» 14-20 نيسان 1994م.

إننا نتنظر من الذين انتخبناهم «حلولاً» أخرى لبطالة الوالدين  
ولضياع الشباب!

ولذلك فأنا أقول لكم: سيداتي و سادتي السياسيين توقفوا عن التبحر بإرادتكم الخير للشباب دون بذل الجهد في ذلك، لأن اقتراح منع الأشياء لا يكلف شيئاً، ولكن التصويت على تخصيص ميزانية لتأسيس مدرسة للموسيقى، أو صالة رياضية، أو منشآت لنشاطات رديفة للمدرسة، يتطلب الشجاعة إضافة للمال، و مفاوضات شاقة، وتحضير ملفات قوية، ولا يعطي شهرة شخصية إلا على مستوى الصحافة المحلية.

ولكن كل سياسي منتخب - ولو كان ضعيفاً - يحلم ولو ضمناً بمستقبل محلي أو في ناحيته، أو وطني وربما دولي مع ولادة أوروبا الجديدة التي

ما تزال تكبر، وهذا الأمر يخلق علاقات مشبوهة مع وسيلة الإعلام هذه المحبوبة من قبل الجمهور، والتي نذريها من ناحية دون قناعة قوية في خطاباتها في المجالس المغلقة وفي مجلس النواب، والتي نداعبها بمكر مُدارين توجه المحطة عندما تُجرى معنا مقابلة تلفازية، أو نشارك في حلقة بحث مباشرة من ناحية أخرى، وهكذا نجد أنفسنا غارقين - بحسب رأي فرانسوا مارييه الذي شاركه الرأي تماماً ولو لمرة واحدة - «في خطاب طنان يغلب عليه عدم الكفاءة والصخب المضحكين في أمور لا ينبني عليها صرف نفقات».

وذلك لأن تخصيص مخصصات مالية يستدعي أن يستأثر رئيس الحكومة أو الوزير المختص باهتمام الإعلام، وأن يحصد المنفعة السياسية، ولا يبقى للنواب المنتخبين من قبل الشعب سوى مجد إصدار قوانين الحظر والمنع».

ولذلك فإننا لا نوجه بعض الأفكار التي قد تقود إلى حل في هذه الفقرة لكل السياسيين المتحمسين للمنع، والذين لا يرون في مُداخلاتهم «التعقيمية» في مجلس النواب، سوى فرصة لتحسين صورهم الشخصية في أعين الناس.

إن ثرثرتهم العقيمة ولسانهم الخشبي ليست إلا الأعراض المشخصة لظاهرة «توحد» مُلطف ومدروس.

إضافة للاعتبارات الاجتماعية عموماً والسياسية والتربوية التي يجب البدء بها، إننا ننصح المُنتخبين المخلصين الذي يشعرون أنهم معنيون بأمور الشباب أن يقرؤوا التقرير الرائع والتقني بآن واحد، الذي أعده

وزير الدولة ووزير التربية والشباب والرياضة جاك بومونتي في عام 1989م تحت عنوان «التربية والتلفاز. رهان القرن الحادي والعشرين». إنهم سيجدون فيه شهادات ونصائح وتعليمات تتراوح بين إمكانية الإفادة من الثروة التلفازية الموجودة، وتحصيل موارد مالية تسمح بإنتاج برامج ذات أهداف تعليمية، مروراً بضرورة تحقيق لامركزية فعالية الإنتاج والإبداع، وترشيد البنيات الإدارية، وتجهيز مدرسين مختصين بالتلفاز... دون أن ننسى - على المستوى الأوروبي - إيجاد سوق تعم القارة، والمغامرة المتعلقة بالأقمار الاصطناعية، نتمنى لكم قراءة مفيدة!

### عندما يحلم المراهقون بتلفاز مثالي

إن المراهقين لا تمثلهم مسلسلات مثل «هيلين والصبية»، ولا العبارات المكررة في نشرات الأخبار، دراسة فرنسية تفسح المجال للمراهقين ليعبروا عن أنفسهم.

تكتب ناتالي - وهي فتاة من مدينة لوزان - «هيلين والصبية» لا علاقة له مطلقاً بما نحن عليه، ولا توجد فتاة أو فتاتان مثل هيلين، ولكن إن لم تكوني جميلة، وإن لم يكن لديك من المال ما يكفي لشراء نفس الملابس، فإن هذا يُشعرك بالحرمان».

المراهقون ضجرون: فالتلفاز يعطي عنهم صورة لا يوافقون عليها. التقينا هذا الصيف بناتالي وروميو وبعض الشباب السويسريين الناطقين بالفرنسية، وأعطونا نفس الإجابات التي حصلت عليها من مثني مراهق ومراهقة فرنسيين. الجمعيات الفرنسية لحقوق الطفل منذ فترة قريبة عندما توجهت إليهم بأسئلة مشابهة حول التلفاز

لقد أجاب هؤلاء: «لا أحد يتكلم عنا إلا عندما يكون هناك إضراب أو مظاهرات في الطريق، نبعثوننا بأننا عنيفون وأنانيون وسلبيون وخالقو مشكلات، حثالة المجتمع، ومسؤولون عن تخريب الأماكن العامة. لا يوجد تمثيل حقيقي: وهذا يعني لا يوجد مراقبون يتكلمون عن دراستهم وعن آمالهم في الحياة».

بين عمر 11-19 سنة يحتج المراهقون على عدم وجود الحالات الوسطية. «لا أحد يتكلم عنا إلا عندما نكون غاضبين»، هذا ما قاله الشباب الفرنسيون الذين استطلعت آراءهم الجمعيات الفرنسية لحماية الطفل.

(كوفراد) «لا يُعرض إلا الوجه السيئ لنا» يجيب ستيف ذو الستة عشر ربيعاً من منطقة الفود (...).

يمكننا اعتبارهم «بطالين، ومهووسين بالموسيقى»: الشباب مهتمون بمعرفة الحقيقة، إنهم فقدوا ثقتهم بالصورة، ويخيب أملهم التعامل العام مع المعلومة، فروميو الذي لم يبلغ بعد عامه السادس عشر يتمنى وجود مزيد من «الأخلاق وأصول الممارسة». يعبر الشباب الفرنسيون في إجاباتهم عن عدم ثقتهم: «أحياناً يقوم الصحفيون بتشويه المعلومات ليجعلوها أكثر جاذبية للقراء».

يعتبر البعض أنه يجب تدريس الإعلام في المدرسة، «بدل تعلم ملوك فرنسا وتاريخ سويسرا، أليس بإمكاننا إعطاء دروس حول ما يحصل في العالم، وكيف نتعامل مع المعلومة؟»، سؤال يطرحه الشاب إيما نويل ذو الثمانية عشر ربيعاً. «لقد كنت محظوظاً لكوني طالباً في مدرسة نستمتع فيها لنشرة أخبار الثامنة صباحاً على المذياع.

وكل يوم كنا نتناقش في مجريات الأمور، لقد سمح لنا هذا بالتعبير عن رأينا عن طريق المبادرة بالكلام». في باريس شكّلت جمعية لعدة ثانويات هدفها «الحصول على نظرة أعمق للمعلومة». «إننا ننظم اجتماعات نتناقش فيها حول المشكلات الحقيقية: مثلاً يوغوسلافيا قبل الحرب، وحول منظمة الأمم المتحدة وما تمثله حقيقة... كل هذه المعلومات تنقصنا» (...)

الكاتب لورانس ناغي في النوفو كوتيديان 25 تموز 1994م.

إحصاء أرسل إلى 200 شاب وشابة فرنسيين. COFRADE

«الشباب يتساءلون عن المعلومة» وثيقة رقم 13 INJEP

## الشباب أنفسهم

رغم أن الأرقام الناطقة بوضوح يمكن لها أن تجعل بعض القراء متشائمين، ولكننا استنتجنا من استطلاعات رأي مختلفة أجريت حديثاً معلومات متنوعة لافتة للنظر حول مشاهدة الأطفال للتلفاز لكل من يود الغطس في هذه المعلومات شرف القيام به! ولنبدأ بالولايات المتحدة التي تسبح منذ فترة طويلة في خضم الموجات الهرتزي، وحيث أكد الباحثان ديتز وستاربورغير، بعد دراسة أجريت على 4000 عائلة في 17 منطقة عمرانية، تبين أن الأطفال الأمريكيين يقضون حسب عمرهم 20-30 ساعة بالأسبوع أمام التلفاز، وأن طفلاً عمره سنتان يشاهد التلفاز بمعدل 60 يوماً في السنة، وبهذا يعطي للجنة «تلفاز» ثلاث سنوات من حياته في نهاية مدة الدراسة المدرسية.

دون الأخذ بعين الاعتبار للاختلافات الشخصية أو الاختلافات العائدة إلى التقويم المدرسي يصل الاستهلاك اليومي المتوسط للتلفاز إلى 3 ساعات ونصف في الولايات المتحدة، وتقريباً ساعتين لجارتها كندا.

الوضع في كندا يقترب كثيراً من الوضع في أوروبا حيث يمكننا الاستنتاج بعد البحث، ورغم الاختلاف بين البلدان أن أطفال القارة القديمة يخصصون أكثر قليلاً من ساعتين في اليوم لمشاهدة التلفاز.

ليست لدينا رغبة في إتعاب القارئ بالإحصائيات! ونحن نقدمها فقط لتؤكد على حجم الظاهرة التي يلخصها كل من ديتز وستراسبورغر بعبارة قوية: «يخصص الأطفال وقتاً للتلفاز يتجاوز كل الأوقات المخصصة لأي نشاط آخر باستثناء النوم!».

ونعني بالنشاط هنا مفهومه المتداول العام، رغم أنه حقيقة ليس بنشاط، ونحن قد فصلنا هذا في فصل سابق، فالسحر الذي يمارسه التلفاز على الأطفال ناجم عن عمل ضعيف وعفوي للخلايا العصبية وليس سببه فعالية حقيقة لهذه العصبونات.

أندرسون ومساعدوه وجدوا في عام 1986م أن لا أحد يشاهد التلفاز خلال 15% من وقت تشغيله.

إن الأبحاث التي قام بها موريه قبل أكثر من 20 عاماً على عائلات فقيرة في مدينة واشنطن أبدت أن الأطفال من 1-10 سنوات يخصصون 18% من الوقت الذي يقضونه أمام الشاشة للقيام بنشاطات أخرى، والذين تتراوح أعمارهم بين 11-19 سنة 31.2% من هذا الوقت، أما

البالغون فتبلغ هذه النسبة لديهم %36.5، ويلاحظ الكاتب أن: «الأطفال يشاهدون التلفاز بشرود وعدم تركيز غالباً، بينما هم يقومون بأشياء أخرى: اللعب، تجميع قطع لوحة فسيفسائية، وأحياناً في أثناء القراءة وكتابة الوظائف». وهكذا فنحن نشارك مارييه الرأي في تصنيفه الجديد لمشاهدة التلفاز، وأنواعها الثلاثة المذكورة سابقاً: التلفاز المحبوب، والتلفاز الدائم والتلفاز لسد الثغرات.

### نصائح للأطفال الذين يرغبون في التخلص من كونهم «مقلبين على التلفاز»

هذا الكتاب ليس موجهاً لقراء أطفال صغار السن، وإن كانوا هم مركز الاهتمام، فمن الصعب أن نوجه لهم نصائح دقيقة تجعلهم يتخلصون من عبودية علبة الصور، مع ذلك فإن بعض الأفكار تتبلور لتعين المشاهدين الصغار دون أن تكون لدينا رغبة بأن يفقدوا جزءاً من حريتهم.

- لا تقبلوا إلا التلفاز المحبوب والبرامج التي تختارونها، ولا تقوموا بعمل الكثير من الأشياء والمهمات والتلفاز يعمل.
- لا تشعلوا التلفاز إلا إذا كان فيه ما يدعو فعلاً للمشاهدة، وهذا يعني الاطلاع السابق على برنامج البث.
- هذا البرنامج الذي يطلب الأطفال من أهلهم بصدده شيئاً من التعليق والمفاوضات والتبرير، حتى وإن كان الأهل يدعون أن عندهم أشياء أخرى يفعلونها.

- بمجرد اختيار برنامج محدد، يجب وضع جهاز التحكم بعيداً في الطرف الآخر من الغرفة (ربما في الحمام، أو في قعر سلة الغسيل الوسخ).
- اطلبوا من والدكم أو والدتكم كلما كان ذلك ممكناً أن يشاهدوا التلفاز معكم، ولا تتردوا بطرح أسئلة عليهم قبل الموضوع المشاهد وفي أثنائه وبعده.
- طالبوا بمشاهدة نشرة الأخبار مع والديكم من وقت لآخر، واسألوا كل سؤال مفيد يساعد على فهم الأشياء والأحداث.
- أقتعوا الأصدقاء بأن يتكلموا عما شاهدوه على التلفاز، وأن يتحاوروا حول موضوعاته أثناء الفرصة بين الحصص المدرسية.
- ولم لا يكون هذا الحوار في الصف؟ وإن كان المدرسون معارضين مبدئيين للتلفاز، فإنهم سوف يوافقون على ذلك في النهاية إذا طرحتم عليهم تساؤلات جدية ومحضرة جيداً، وربما متفق عليها بين الأصدقاء.
- ارفضوا فكرة التلفاز الثاني في غرفة نوم الطفل، وذلك لأن الدمية التي تساعد على النوم ترفض المنافسة.
- اضغطوا على الصديق أو الصديقة للعب خارج المنزل، فلا يوجد أكثر «تفاعلاً» من مشهد الهنود الحمر ورعاة البقر، عندما يكون الطفل الذي يلعب اللعبة هو نفسه الشريف أو النسر الأسود.

## للأطفال الصغار والأكبر سناً

### تمارين عملية

#### أسئلة:

1. عندما تطلعون على مجلة أسبوعية تنشر البرامج التلفازية الأسبوعية، قارنوا جداول المحطات المختلفة بتعبئة جدول تدونون عليه الوقت (أو نسبة الوقت) الذي تحتله البرامج الآتية:

- المعلومات.
- الجديد في العالم والتقارير.
- الأفلام الفرنسية.
- الأفلام الأجنبية.
- المسلسلات التلفازية الفرنسية.
- المسلسلات التلفازية الأجنبية.
- البرامج المتعلقة بالأدب والفنون والموسيقى الكلاسيكية.
- المنوعات الموسيقية.
- الرياضة.
- الوثائقيات المختلفة.

هل توجد فروق مهمة؟ هذا الجدول سيساعدكم على معرفة توجه كل محطة من محطات التلفاز، ومن ثم معرفة إلى أي جمهور تُبث البرامج.

2. إذا اشركتم في محطة من المحطات، فشكلوا جدولكم

للبرامج (نسبة الوقت) حسب مايلي:

- بالبحث عن أكثر أوقات المشاهدة، والتي تحاول خلالها محطات التلفاز إرضاء أكبر عدد ممكن من الجمهور.

• بالاهتمام فقط بما تحبونه... وقارنوا هذا الجدول بالجدول  
المثالية لزملائكم مستقاة من كتاب الأدب (ليتراتور) الجزء  
الثاني «التقنيات»  
كريستيان بيبه ومساعدوه. نشر دار مانيار 1987م.

• القدرة على التفاهم مع الإخوة والأخوات فيما يتعلق باختيار  
برنامج مشترك يناسب الجميع، وأن نتقبل دون انزعاج أو تدمير  
أو صفاق للأبواب أن «تغادروا المكان» عندما يعتبر أحد الوالدين:  
أنك شاهدت التلفاز بما يكفي هذا المساء، وأنه بوجود هذا الطقس  
الجميل يفضل أن تلعب خارج المنزل، أو أن لديه رغبة بقراءة  
صحيفته أو بريده بهدوء في غرفة الجلوس.

• سؤال الوالدين إن كانا موافقين على تسجيلك في نادٍ رياضي  
أو دروس موسيقى أو فرقة كشافة، فهذه الأماكن تمكننا من  
الحصول على أصدقاء أكثر من جلوسنا في غرفة الجلوس.

بمحاولة تطبيق هذه النصائح - وباختراع طرق أخرى - سوف ترون أن  
التلفاز لم يكن حتى الآن صديقاً وفاقياً، وأنه كان يفرض نفسه وأموراً أخرى  
أكثر من عرضه إياها، وأنه كان يستعبد أكثر مما يرفه، وخاصة أن قيمته  
الحقيقية تتبع من الحوار والنقاش الذي يمكن أن ينتج عن مشاهدته.

### المدرسة و«الموجهون» المهنيون

إذا كان معظم المدرسين وخاصة في المدارس الثانوية يعتقدون أن  
المدرسة يجب أن تقوم بعملها: تعلم القراءة والكتابة والعد والحساب؛

فبعضهم يعتقد أن التلفاز يمكن له، بل ويجب عليه أن يدخل قاعة الصف. حاولنا سابقاً أن نُحيط بالطرق المختلفة لاستخدام التلفاز في التعليم (التلفاز المدرسي، التعليم عبر وسائل الإعلام، والاستخدام «الثقافي» «للتلفاز كأداة»...)، وأن نضع النقاط على الحروف فيما يخص الانقسام والتعارض في الشكل والمحتوى، اللذين يجعلان من الصعب بل من المستحيل في نظر العديدين بناء علاقات منسجمة بين هذين العالمين المختلفين تماماً.

### إما المدرسة أو التلفاز أو حوار رديء

بإمكاننا إن أردنا أن نظهر كأناس متفتحي الفكر أن نترنم بوصلة غنائية مفادها أن التلفاز موجود، وهذا الموال الشائع جداً هو فارغ من أي معنى.

فعلينا أن نتبع سلسلة لازمة كريمة ومجانية من توجيهات إياكا\* YAKA. في المدرسة لا يستخدم يাকা غير التلفاز الحقيقي الراقى، ذلك الذي يُعلم ويثقف، ويعلم يাকা. الطفل أن يرتب ويُصنف وينظم، وباختصار يجعل يাকা من الطفل قادراً على التحكم بسيل المعلومات المتدفق لتجعل منه رجل المستقبل الحقيقي الراقى في القرن الحادي والعشرين، وهكذا يাকা! ودور المعلمين يكبر أكثر من أي وقت مضى، ويصبح أجمل وأرفع وأسمى.

وماذا لو كانت المدرسة عاجزة بكل بساطة عن القيام بهذا؟ وإذا قامت المدرسة بإصلاح أمورها أولاً؟ هذه المدرسة التي أصبحت عاجزة

\* YAKA (ياكا) هو نظام متكامل يهدف إلى التزويد بطريقة فعالة لنشر أنظمة التشغيل على عدد كبير من الحواسيب غير المتجانسة.

عن مواكبة تحديات العصر الكبيرة، وبحجة الفعالية والمردودية أصبحت مصطنعة وغير طبيعية، وتفصل بين المواد التعليمية والمواهب، فتجبر الشاعر بالقوة على فتح كتاب الفيزياء لأن جرس انتهاء الحصّة رن، وتجبر الصغير المولع بالرياضيات أن يترك معادلته ذات المجهولين ليخصص نفسه للمتع الإجبارية اللطيفة للآلات الرياضية، فأشارة انتهاء الحصّة إجبارية.

هذا التنقل الدائم والإجباري بين المواد المدرسية، وتعدد المدرسين، والكبت الناتج عن النتائج المدرسية، إضافة إلى التشويش والعنف المدرسي، وغياب التبادل الحقيقي في الأفكار، كلها تجعل الطالب إنساناً خاضعاً للسخرية بدون رحمة.

إن جعل الطالب معتمداً على الآخرين وفاقداً للمبادرة، وأن نفرض عليه أن يترك جسده معلقاً على علاقة الثياب في المشاح قبل الدخول للصف، وأن يتخلى عن أحلامه ورغباته وفضوله على مدخل المدرسة، وأن نسلبه كذلك وقت متعته بإغراقه بالواجبات المنزلية، هذه بعض الأعمال البطولية اليومية التي تمارسها هذه المؤسسة المحترمة التابعة للدولة، والتي نسميها المدرسة في الدول التي ندعوها متطورة.

بعد ثماني سنوات من هذا النظام المدرسي، يأتي الطلاب إلى دروسهم في الثانوية كما يذهبون إلى السينما: فيضعون مؤخراتهم على مقعد من المقاعد، وينتظرون بسلبية مرور الحصّة، ويلزم جهد هائل من الإبداع والصبر لنصل ببعضهم شيئاً فشيئاً إلى المشاركة في الدرس، والجرأة في التعبير عن رأيهم، والمبادرة ببعض الأمور، وأن يستوعبوا أنهم يبذلون الجهد

لإرضاء أنفسهم، لا لإرضاء المدرسين أو الوالدين. أما بالنسبة للباقيين فإنهم يظنون (سيظلون؟) معتمدين على الآخرين وماديين ومنطوين على أنفسهم وعنيفين... فاشلين مستقبلاً وعلينا تقبلهم كمواطنين؟

«فتح مدرسة يعني إغلاق سجن، فما بالك إذا كان الأمر هو فتح سجن آخر؟» هذا تساؤل طرحه المُنظّر فيكتور هيغو، فالمدارس تعلم الأطفال الصمت والطاعة، وهذه جريمة.

و تريدون من هذه المدرسة التي تلتهم الطفولة والشباب أن تنافس طواحين الهواء التلفازية؟ حسبكم! ولكن هل أنتم حقيقة مُصرون على رأيكم؟ فليكن، أنتم على حق!

ففي الواقع، إذا كانت الثورة على المؤسسة التعليمية الحالية مستحيلة، فإن معظم خدامها ليسوا أوصياء ولا يمارسون الإخفاء. هم غالباً أساتذة قلباً وروحاً قبل أن يكونوا أساتذة بعقولهم (ليسوا من الموظفين الغلاظ بجباه كجبهة الثورة) إنهم يمنحون الطفولة حناناً واحتراماً عميقاً.

إنهم هم الذين يمنحون المدرسة شرفها، ويطرحون الأسئلة حول هدفها وتوجهاتها، وهم الذين يجعلون المدرسة محببة، ويحاولون أن يفتحوها على الحياة، ويروجون لاحترام الذات قبل احترام الإقتان، كان لا بد لنا من أن نجعل هذا واضحاً.

فنحن نوجه هذا الفصل إليهم خاصةً، وإليهم كذلك نوجه هذه «الصرخة المدوية» حول محاسن ومساوئ المدرسة، والتي تشابه في بعض النواحي محاسن ومساوئ التلفاز.

كتبنا سابقاً أنه يجب إدخال الحياة إلى المدرسة، وأنه أصبح مستعجلاً

خروجها من جوها الخانق العقيم، ولا زلنا متمسكين بهذه الفكرة الكريمة والتفاؤل الطوباوي، ولكن هل يمثل التلفاز بصورة غير الواقعية والخيالية والمجزئة والزائلة الحياة؟

بالنسبة للمنادين بنظام تربوي منفتح على الحياة (فرينيه، ديكرولي والآخرين...) كان العالم هو الغابة والنهر والعصافير والمحميات السلطية أو الفرنسية - الرومانية القريبة جداً، ولم يكن تلك الأمور المعقدة الشائكة «هيلين والصبية»، والنزاع اليوغوسلافي، ومباريات التأهيل لبطولة أوروبا بكرة القدم، هذا العالم المصطنع الحديث وغير الموضوعي والسرطاني! سرطان التلفاز!

إن مشاهد التلفاز ليست أكثر واقعية من وقائع رواية لستيفنسون، وربما كانت أقل واقعية - وكم من الكثير يتحدث عن القليل - من الجرمينال\* لإميل زولا، وهي رواية تنقل الواقع بأسلوب يحث على أعمال الخيال، وتتناول الأخلاق الاجتماعية والسياسية - مع روح مبالغة تحمل الدعابة - لحقبة زمنية محددة، لو عاد إلينا جان جاك روسو الطيب، فإن من المؤكد أنه سيكون بالتأكيد أكثر مرارة وتشاؤماً في هجومه على التعليم التلفازي، مما كان عليه في هجومه على الكتب، والاستخدام التربوي لها في زمنه. إن المدرسة لن تؤهل الطفل المدمن على التلفاز «ليصبح حالمًا من خلال تجواله في الطبيعة»... بمفرده أو بوجود الآخرين.

وهكذا ونظراً لكل الأمور السابقة، والاعتبارات الأخرى التي طُرحت في فصل «التلفاز والمدرسة» يمكننا أن نستخلص أن بإمكان المدرسين - وذلك

\* الجرمينال: الشهر السابع من الثورة الفرنسية.

من حقهم - أن يستمروا بتجاهل الفجوة الغربية القديمة الساكنة القائمة بين الثانوية وما يليها، وأن نلخص الأمر متفقين مع جاك بيقتو: «إن العلاقة بين المدرسة والتلفاز كانت حتى الآن من النوع الطوباوي....، وتتصف بالواقعية البائسة، فيوجد بون شاسع بين ما يُعلن، وبين ما يطبق، لدرجة أن الإنسان يتساءل كيف يمكن للمربين أن يبقوا واهمين حتى الآن».

ولهذا السبب بالذات، ولكوننا ما زلنا نحفظ بشيء من الأمل الواهم فتحن مصرون على تقديم بعض النصائح، وبعض الحلول النظرية للمدرسين الذين يحلمون بمدرسة مفتوحة على العالم ذكية وتقبل النقد الذاتي، فالمدرس الحقيقي لا يضع نفسه في الديماغوجية السهلة، ولا في الاستسلام والخضوع العبودي لبرامج رسمية، إن أكبر خيانة تقوم بها تجاه الأطفال هي الاحتقار واللامبالاة!

### الخلاص من الأوهام

بما أن الموضوع حساس للغاية، وبما أننا نرفض أن نلعب دور الناصحين الأبويين للأشخاص الذين يقتاتون من إعطاء الدروس، فإن ما نقدمه عبارة عن رغبات وبعض الحلول العملية التي نرغب أن نعرضها على براعاتهم.

أولاً يجب على المدرسين التخلص من بعض الأوهام التي تتعلق بالاستخدام المثالي للتلفاز في الحصة المدرسية.

الوهم الأول: هو القدرة على قياس المعارف المكتسبة من قبل الطفل أمام التلفاز، من خلال استخدام المعايير التقليدية لتقييم الأداء المدرسي.

الوهم الثاني: استخدام التلفاز كوسيلة لدعم الأهداف الخاصة. عاش

التلفاز المدرسي ولم يثبت أي شيء سوى عدم فعاليته، فالدروس على التلفاز تبعث الضجر والملل بنفس الدرجة على الأقل مقارنة بالدروس العادية التي يعطيها المدرسون، وهذا يعني الكثير.

الوهم الثالث: وليس الأقل أهمية: المساعدة في فرز وتنظيم وترتيب المعلومات المتناثرة التي يُشربها التلفاز للأطفال، فالمدرسة ببنيته الحالية ليس لديها الوقت و الإمكانيات ولا الكفاءة لتلعب دور المُوحِد لهذه الثقافة المبعثرة، التي لا تملك قاعدة صلبة تستند إليها، ولا تربطها علاقة بواقع الأطفال الحقيقي.

### الدروس الإيجابية

بعد تأكيد شديد يقترح دانييل شنيدرمان أن يُعلم التعليق على مشاهد التلفاز في المدرسة، كما يُعلم التعليق على النصوص الأدبية. وهو مُحق في ذلك، فالتلفاز المتعلق بالحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية هو حقيقة لا مفر منها، ولذلك يجب أن نعلم الأطفال كيف يشاهدون الشاشة الصغيرة.

فنشرة الأخبار يجب أن تخضع للتحليل كما نفعل مع نص أدبي، فالصور التي تعرضها هذه النشرة تبني إلى حد كبير طريقة فهمنا للعالم، فلنسرع بالتحكم بهذه الصور خوفاً من أن تسيطر هي علينا. هذا ما ينبهنا إليه الكاتب المشهور.

بانتظار أن يصبح تعلم مشاهدة التلفاز إجبارياً، فإننا سنرضي ضمائرنا بقراءة مقالات شنيدرمان الدورية، ومقالات الآخرين الذي يلاحظون ويصفون ويعلقون يومياً على ما يشاهدون في

محطات التلفزيون الرئيسية، وذلك بالنيابة عنا، إن عدد هؤلاء أخذ بالازدياد، وهذا جيد، فجميعهم على اختلافهم يعملون أحياناً ودون علم على إزالة إبطال صفة القداسة عن التلفاز.

حُماة ضروريون، هم لا يفوتون فرصة لكبت جماح غروره بمجرد ادعائه أنه يُغني عن الواقع المُعاش بحركة بسيطة لجهاز تصوير. أما أفضل هؤلاء فيجمعون على الرفض المطلق لأن يكونوا مغفلي عصرهم، هذا العصر - الذي كان وما زال عصرنا - لا يفتأ يعبر عن نفسه بالتمثيل، وحتى في لحظات عجزه من خلال زاوية صغيرة لاستوديو مُضاء.

تيري ميرتونان، اليومية الجديدة (لونوفو كوتيديان) 18 تموز 1994م.  
من كتاب دانييل شنيدرمان: توقف على المشاهد «أريه سور إماج»  
دار النشر فايار.

### بعض الحلول فيما يتعلق بالمدرسة

بما أننا انتهينا من نقاش طويل حول الموضوع، فلنحاول أن نجد ضمن هذا الخضم نصائح مختلفة للعاملين في حقل التدريس، والتي نعتقد أنها الأكثر قبولاً.

- حصلوا على معلومات كافية عن علاقة الطفل بالتلفاز.
- عندما تقابلون الأهل حاولوا أن تفتحوا نقاشاً حول التلفاز، ودعوهم يعبرون عن آرائهم.

• بعد قراءة عدة كتب حول الموضوع، انصحوا الأهل بقراءة أحسنها وأكثرها توفراً، لماذا لا يكون الكتاب الذي بين أيديكم؟ (انظروا كذلك إلى لائحة المراجع).

القيام بمساعٍ لدى الجهات المعنية في المدارس، لتزويد الصفوف بأجهزة تسمح بمشاهدة التلفاز: شاشات عرض وأجهزة فيديو.

• اختبار طرائق أخرى أكثر وعياً للاستهلاك التلفازي، وذلك اعتباراً من الصفوف المدرسية الأولى وربما صفوف الحضانة، إن استخدام الفيديو يسمح بتجزئ برنامج إلى فقرات مدتها 5-10 دقائق يمكن مناقشتها والعمل عليها خلال الدروس، وهذه الأجهزة تعين كذلك على العودة إلى الوراء لتكرار مشاهدة لقطة معينة، أو التوقف على مشهد محدد لمدة من الزمن.

• تعليم الطلاب فك الرموز والاستخدام المفيد لبرنامج تلفازي: قد يكون هذا درساً رائعاً في المطالعة!

• تنظيم دقيق وغير مندفع (3-4 مرات خلال العام الدراسي) لحوار في الصف حول الاستهلاك المفيد للتلفاز، أو حول فيلم أو برنامج مُشوقين يشاهدان أثناء الدوام المدرسي.

إن الاقتراحين الأخيرين إذا طُبقا جيداً، فإنهما يسمحان للطفل:

- بتطوير حسه النقدي الخاص به.
- أن يشرف بنفسه على توازن أفضل بين تلفاز التسلية وتلفاز الثقافة.
- التأكد من توفر شروط جيدة جسدية وعقلية للمشاهدة والإصغاء

ولكن مهما كانت حساسية المدرسين عالية، وكانت رغبتهم صادقة، فلا بد لاستيعاب ظاهرة التلفاز في الصف من التذكير بأمرين مهمين. أولاً، لا يجوز أن يصبح التلفاز في المدرسة مائلاً لأوقات الفراغ بحال من الأحوال، فإذا كنا نشاهده خلال الدوام فيجب أن تراعي هذه المشاهدة الانتباه، ووجود أهداف محددة من ورائها، وهذا يقتضي ثانياً رؤية مسبقة للبرنامج من قبل المدرس، وتحضيراً تعليمياً صارماً للموضوع.

إضافة إلى هذه النصائح العملية الجاهزة للاستعمال من قبل المدرسين، فنحن نريد أن نوصل فيما يلي مجموعة من الأعمال الأكثر عموماً وطموحاً للمؤسسة التعليمية، هذه الإجراءات مُستقاة من عمل الباحثة الأمريكية كيت مودي، ونحن ننقلها كما وردت في كتاب رونييه دويو، آخر أجيال الكتابة:

### في المدرسة

- تشجيع النشاطات العضلية، والرياضة بشكل عام، والفعاليات الخلاقة - الموسيقى والرسم والمسرح - لمحو الآثار السلبية لوسائل الإعلام الإلكترونية.
- إعطاء الأولوية لامتلاك المعارف الأساسية، الكتابة والقراءة والحساب يجب أن تبقى المهيمنة خلال فترة تشكيل الذكاء و اكتساب المعرفة.
- تحديد الوسائل والتقنيات المختلفة بما فيها الحواسيب، التي تدخل ضمن نظرة شمولية لدور الإعلام في التعليم، ويجب إدخالها بتدرج كوسائل تعليمية مساعدة في كل مستويات الدراسة.

- التخطيط لاقتناء المعدات اللازمة للمدرسة كوسائل إنتاج: أولاً الآلات الناسخة، ثم أجهزة الفيديو وشاشات العرض الملونة. وتعطى الأولوية للمدارس التي تستقبل الأطفال الأقل استعداداً لتلقي الدروس.
- تسجيل البرامج التلفازية اليومية التي يمكن لها أن تشكل وثائق تفيد في التعليم في كل مدرسة من المدارس.
- تكوين مراكز للأفلام الوثائقية تشمل المكتبة، ومكتبة الشرائح القابلة للعرض، ومكتبة أشرطة الفيديو والأقراص المدمجة، والملفات الصحفية.
- تأهيل المدرسين لاستخدام وسائل الإعلام وتقنيات الحصول على المعلومة.
- تطوير الأبحاث بالتنسيق مع الدول الأخرى فيما يخص الدراسات التي تجرى على علاقة الإعلام بالتعليم.
- إنتاج أو المشاركة في إنتاج مسلسلات ذات طابع تعليمي.

كل هذه الأمنيات والاقتراحات والنصائح والطرق الأخرى العملية يجب ألا تنسينا أن التلفاز لن يدخل المدرسة من بابها الواسع في يوم من الأيام، وأنه سيبقى وسيلة محدودة لتعليم بعض الفروع، وحقل للدراسات الاجتماعية والنفسية يهتم به المدرسون المنفتحون والفضوليون، وباختصار تبقى هذه العلاقة بمثابة الغزل الخفيف، أما الزواج الحقيقي بين المدرسة والتلفاز فإنه لن يحدث أبداً، وذلك ببساطة لأن هاتين المؤسستين الثقيلتين مختلفتان جداً في أهدافهما ووسائلهما وطريقة عملهما وبنائهما، إن النقطة

الوحيدة المشتركة بينهما هي: أن إحداهما مجانية تقريباً وإجبارية، وأن الأخرى أمر لابد منه، ولكنه كريم وسهل بآن وتجاري بآن آخر.

وكلاهما يريد السيطرة على الإنسان دون الاهتمام بما يحيط به. طريقتان يعتقدان بأنهما حُرّان مستقلان مستقيمان وعادلان، ولكنهما لا يتبعان سوى أعراف وتحايل وتردد وتنازلات مجتمعا، وسواء كانت المسارات مستقيمة أو مائلة - وما يغير هذا؟ - فإن عالمي المدرسة والعلاق التلفازي يسيران على مسارين أو مدارين متوازيين، وحسب قواعد الرياضيات الثابتة فالمستقيمان المتوازيان لا يلتقيان أبداً!

### مدانون على كل حال

سابقاً كنا نحذر الأطفال من الأشخاص المجهولين الذين يقدمون الحلوى على باب المدرسة، وإذا بنا بالشخص المُغرِّ الذي كنا نحذر منه يدخل إلى بيوتنا عن طريق موجات الكبل، ويديه مليئة بالحلوى والهدايا، وإذا بالسلطة الأبوية التي هددها سابقاً الاستقلال المتزايد، وتقلت الأخلاق، يزداد تهديداً من الداخل، إن معارضة الأقوال المقنعة التي تصدر عن جهاز التلفاز يعتبر قهراً، ولكننا بداية لجأنا للتلفاز لنحصل على الهدوء دون اللجوء للقهر، وإن رفض الكنوز التي تعرضها الإعلانات التجارية هو حرمان للطفل، وهو يعرضه للمنع من التمتع بالعرف السائد في مجتمع الأطفال....، وباختصار هو إجباره على أن يكون مختلفاً عن قرنائه.

إن تعدد الضغوط الممارسة على الطفل يؤدي لظهور نزاعات عديدة، بينما تبدو العائلة غالباً عاجزة عن السيطرة عليها:

فالنسيج من الأعراف التي تحكم العلاقات الداخلية ضمن العائلة بدأ يهترئ ويتلاشى، والعائلات التي لا تزال تقاوم هذا التراجع تجد نفسها محاصرة من كل جانب، فالتنازل يعني الخضوع لأمرات من خارج العائلة، أما المقاومة فتعني الانغلاق، وسواء قاوم الوالدان أو استسلما فإنهما ملامان، ولا يملكان السيطرة على أطفالهم.

كلود فيششر، عالم التربية، عدد تشرين الثاني 1979م.

## الوالدان

يعني صاحب الأفكار الثورية المشهور الروسي باكونين المعروف بفكره الفوضوي الموسوم بالمبالغة أن الطفل لا يتبع والديه ولا مدرسيه وإنما حريته الشخصية، ولكن من الواضح كذلك أن الوالدين والمدرسين يجب عليهم مساعدة الطفل على استيعاب هذه الحرية وتحديدها والحصول عليها.

لا بد أن القارئ من خلال تقدمه في قراءة هذا الكتاب ولو بسرعة فهم أن التلفاز عندما يستهلك دون استيعاب يشابه وجبة سريعة ثقافية، أو تسلية بديلة تؤدي إلى تقييد الإنسان بدلاً من تحريره.

## على من طبخ العجل أن يلعبه!

بما أن المدرسة كما رأينا للتولا تملك الوسائل والكفاءة، ولا تملك بنية مساعدتها على الإشراف أو على هضم استهلاك الطلاب للتلفاز، فالمسؤولية تقع على عاتق الوالدين.

وهذا واضح بدون شك؛ لأنهما هما اللذان جلبا التلفاز إلى المنزل، وهما اللذان يدفعان ضريبته المالية، وهما كذلك اللذان يعطيان القدوة

لأبنائهما من خلال المشاهدة المستغرقة للتلفاز، وأخيراً، فتحت أنظارهما ومسؤوليتهما حيث يتمتع أبناؤهما بجرعات الإدمان على الشاشة الصغيرة في المنزل العائلي.

فالتلفاز يعتبر جهازاً منزلياً من ضمن الأجهزة المنزلية، ولكن الله وحده يعلم كم هو صعب ترويضه!

صعب ترويضه ولكنه ممكن بشرط أن يقبل الوالدان أن يستعيدا زمام المبادرة، وأن يمارسا دورهما التربوي، وأن يتعلما أن يستوعبا أطفالهما بموضوعية، وأن يبحثا عن توازن حي في حياتهما وفي طريقة تربيتهما للأطفال، إن التحمل الناجم عن الضعف والتراخي التربوي ليس إلا شكلاً مقنعاً للجبن أو اللامبالاة وذلك أسوأ، فالطفل الذي عُوْمِلَ كالمملك سيجد نفساً عاجلاً أم آجلاً عبداً مجرداً من كل حيلة في مواجهة متطلبات الحياة، فالأطفال يحتاجون لقيود وأنظمة واضحة دقيقة، قد يتجاوزوها أحياناً وقد يخرقوها نادراً مدركين أخطار هذا العمل والعقوبات المترتبة عليه، وهذا جزء من قواعد اللعبة.

يحتاج الشباب لقدوة وضوابط أكثر من حاجتهم للمعرفة، ويبدأ هذا في المنزل وفي حضن العائلة، فلماذا لا نبدأ بأن نضع مع الطفل معايير محددة وحدوداً قابلة للتفاوض فيما يتعلق بمشاهدته للتلفاز وممارسته هواياته؟

قبل أن نعرض بعض الآراء والنصائح والأفكار، وربما الطرق والمعايير في هذه الأدغال التي تمثلها تربية الأطفال بالنسبة للكثير من الآباء، نود أن نرد على بعض ردود الفعل والاعتراضات التي ولدتها بعض كتاباتنا، أو التي لاقيناها أثناء نقاشاتنا الحادة أحياناً حول موضوع الطفل والتلفاز. «من

أولئك الذين تعاشرون؟»، «في أي وسط تعيشون؟»، «أنا لم أر قط مثل هذا عند أطفالي»، «عندنا لا تجري الأمور أبداً كما يحلو لكم أن تعمموه...»

نحن نعترف بطيبة خاطر بأن حياتنا العائلية ليست القاعدة، وربما كانت الاستثناء، ولكننا نطلب منكم بالمقابل الاعتراف بذات الشيء.

إن مجرد قراءة هذه الصفحات يؤكد أنكم تطالعون وتقبلون أن تحصلوا على معلومات تتعلق بالتربية، ولذلك فغالب الظن ألا تكونوا من أولئك الآباء الذين يتخلون عن أبنائهم، ويتركونهم أياماً بكاملها تحت رحمة هذه المَخِيلَة\* التي يمثلها التلفاز.

يجب عليكم أن تتفحصوا البرنامج معهم، وأن تشاهدوه أحياناً بصحبتهم، وأن تدعوهم يتكلمون حول ما شاهدوه وأحسوا به، إن هذا التصرف سوف يجعل منكما والدين غير نمطيين، ولا تمثلان مجموع الآباء الفرنسيين الذين لا يقرأ خمس وسبعون بالمئة منهم أبداً كتباً تربوية، ويعتبرون أن أبناءهم هم في أحسن أحوالهم أمام التلفاز؛ لأنه يستطيع أن يحافظ على هدوتهم، ويمنعهم من المغامرات والأخطار في الطريق، أو في أماكن اللعب.

### آباء فقراء، آباء تعيسون

إننا نلمس هنا إحدى تناقضات هذه الصفحات، لأنها ستقرأ خاصةً من قبل أشخاص ليسوا بحاجة إليها، وسيجدون صعوبة في التعرف على أنفسهم من خلال الحالات المعروضة لأنها لا تمثلهم، وهذه الصفحات

\* المَخِيلَة: هي ما يُوضع في الحقل من أشياء تشبه بشكلها الإنسان لتبعد الطيور عن الزرع.

لن تصل الأشخاص الذين قد يستفيدوا منها أكثر من غيرهم، ولكننا نأمل أن نجد فيها الأوائل دعماً لهم في مواقفهم التربوية - فكل الناس بحاجة كبيرة للدعم المعنوي! - وقد يكتشفون من خلالها بعض الطرق غير المعروفة، وخاصة فإنهم سيتعلمون كيف يُعلِّمون وينصحون ويدعمون غيرهم، الكثيرون من الأهل وأطفالهم هم بحاجة فعلاً للمساعدة، وخاصة منهم الذين ينتمون للطبقات الاجتماعية المتواضعة، وذلك لأنه بحسب أقوال جوديت لازار «إن وقت المشاهدة ذو علاقة مباشرة بالوسط الثقافي الاجتماعي». هذه الملاحظة أكدتها معظم الدراسات التي أجريت في بلدان مختلفة، وأثبتها فرانسوا مارييه بعد دراسة أجراها قبل عشر سنوات.

إن مؤلف كتاب «دعوهم يشاهدوا التلفاز» وصل إلى استنتاجات مختلفة تماماً عن تلك التي احتواها كتابه المنشور عام 1989م لأنه كان يقول وقتها: «وكي نلخص الموضوع فإننا نقول بأنه خلال الوقت الذي يشاهد فيه أبناء العمال التلفاز، الذي يمكن اعتباره حاضنة أطفال الفقراء، يقوم أبناء الموسرين بممارسة الرياضة، وعزف الموسيقى، ويحضرون دروس الغد، ويقرؤون أو يمشون خارج المنزل، إن تلفاز يوم الأربعاء (يوم العطلة المدرسية في فرنسا) يلعب دوراً مكرّساً للفوارق الاجتماعية الثقافية».

التلفاز هو وسيلة تسلية رخيصة، فمقابل حفنة من القروش يمكننا أن نشاهد خمس أو ست محطات يومياً.

وهو رقم تضاف إليه زيادة مالية بسيطة، يُضاعف مرتين أو ثلاثاً أو عشر مرات بحسب ما قرره الوالدان، من اقتناء طبق استقبال هوائي، أو الاشتراك لدى شركة كابلات.

## هل يُمنع المنع؟

جهاز جديد يسمح للوالدين بتحديد وقت المشاهدة لأبنائهم، وهذا يقلق الاختصاصيين النفسيين.

جهاز إيقاف التلفاز لم يحصل على موافقة الجميع، «إنه يذكرني بجهاز ظهر في الستينات، نوع من «موقف تبول» يقرع جرساً عندما يبدأ الطفل بتبليل فراشه، هذا ما علق به كريستين بيفاريتي، وهي ربة عائلة ورئيسة مدرسة الآباء في جنيف، إن هذا يعاكس نظريتنا التربوية». ولكنها لا تنكر حقيقة أن التلفاز أصبح مصدراً للنزاع ضمن العائلة، يتلقى هاتف هذه المدرسة العديد من الاتصالات بخصوص هذا الموضوع، «من الأفضل حدوث نزاع جدي، ولكن يجب استمرار الحوار». وبحسب رأيها فإن هذه المشكلة يمكن لها أن تتيح الفرصة للبالغين ليتساءلوا عن طريقة استخدامهم للتلفاز: «لا أستطيع أن أخبركم كم هو عدد الأهل الذين يشاهدون برامج سيئة للغاية.....».

وتشاركها الرأي غيميت فور - المسؤولة عن الأبحاث في قسم الإحصاء الإعلامي في باريس - : «تشير إحصائياتنا الفرنسية التي أجريت عام 1993م إلى أن الطفل بين 4-10 سنوات يشاهد التلفاز أقل من ساعتين بقليل في اليوم، وهذا رقم ينقص قليلاً عن سابقه في العام الذي قبله، أما البالغون فوق عمر الخمسين فيشاهدونه لمدة تزيد عن أربع ساعات باليوم وسطياً، وأنا أعتبر هذا الرقم أكثر خطورة». أما إحصائيات العام 1993م التي قام بها التلفاز السويسري

الناطق بالفرنسية TSR فهي مشابهة لما ذكر، ففي سويسرا الناطقة بالفرنسية يشاهد الطفل الذي يتراوح عمره بين 3-14 سنة التلفاز لمدة 79 دقيقة باليوم مقابل 85 دقيقة في العام 1992م.

«لن أشتري أبداً مثل هذا الجهاز» أفادت السيدة دومينيك ميرسييه-وهي اختصاصية نفسية، وأم لصبيين صغيرين- أنا أفضل أن أشرف بنفسي على الوقت الذي يقضيه أطفالي أمام التلفاز، وإن أدى هذا إلى الدخول في نزاع معهم».

العديد من الأهل يرفض فكرة «التخلي عن المسؤولية» التي يمثلها جهاز التحكم بمشاهدة الأطفال للتلفاز، فمن السهل الاستسلام، واللجوء إلى آلة هرباً من المشكلة التربوية الأصلية، ما يعرض عليه. هذه أقوال إيزابيل يعقوبيان، وهي اختصاصية نفسية لدى صغار الأطفال، وتضيف أن موقف الطفل يكون عادة نسخة عن موقف أبويه».

«إن تركيب ... يعني أن نمنع الآخرين مما نقوم به، فالتلفاز موجود ويجب أن نتعلم كيف نتعايش معه». يشاهد أطفالها (2.5 سنة و5 سنوات) التلفاز قليلاً كل يوم: «أظن أن الطفل بإمكانه أن يشاهد تقريباً كل شيء يعرض على التلفاز بشرط أن يكون أحد الراشدين بجانبه ليساعده على تكوين تفكير نقدي.

إيزابيل موسي، جريدة اليومية الجديدة (لونوفو كوتيديان) الأربعاء 20 نيسان 1994م.

تبقى كلفة هذا الأمر أقل بكثير من كلفة ذهاب عائلة (4-5 أشخاص) إلى السينما أو المسرح، ويزيد الفرق إذا أضفنا لأجر الدخول كلفة التنقل،

وربما وجبة خفيفة، دون حساب «ضياع» الوقت، الذي لا يؤثر على ميزانية العائلة، ولكنه يمنح الكثيرين من الآباء المرهقين بأسبوع من العمل، والذي ينتظرون بفارغ الصبر ساعات الراحة في المنزل العائلي، من القيام به ويفضلون البقاء في المنزل حيث يستطيع التلفاز إبقاء الأطفال هادئين.

إن حصول العائلة على بعض الترفيه والتسلية والمتعة الثقافية هو أمر مُكلف في هذه الأيام، ونفهم من ذلك لماذا لجأت نسبة كبيرة من العائلات للتلفاز، فهو عملي ودائم الحضور لحل مشكلة شغل أوقات الأطفال.

في سويسرا 50% من العائلات لديها جهازا تلفاز على الأقل، وعندما نعرف أن عدداً كبيراً من العائلات فيها أحد الوالدين فقط، فتكون النتيجة وجود والد واحد مقابل شاشتي تلفاز.

يمكننا أن نتفهم – دون أن نؤيد – كل أولئك الآباء الذين يبحثون عن السهولة، التي لا تكلف جهداً يبذل، والأرخص دون شك، ولكن من الضروري والعاجل أن نخبرهم أن ثقتهم في التلفاز هي في غير مكانها، وأن أطفالهم المدمنين عليه، المتروكين وحدهم أمام الشاشة الصغيرة، يتجهون نحو مستقبل عاطفي غير مستقر، فالسيدة ليليان لورسا التي قامت باستطلاع رأي 421 من طلاب الحضانة تلخص دراستها بالآتي: «هؤلاء الأطفال يُظهرون بأوضح الأشكال وأبرئها جهل الآباء الذين لا يرون ما يشاهد أبنائهم، ويشعرون بالاطمئنان لأن البرامج المشاهدة مخصصة للأطفال، ويتجاهلون كذلك ما يصيبهم من الرعب ليلاً في غرف نومهم من جراء هذه المشاهدة.

الكثير من الآباء لا يخطر على بالهم أن زمام التحكم بتربية أولادهم لم يعد بيدهم عندما يتركونهم تحت رحمة ما يعتقدون بأنه مجرد وسيلة تسلية يومية، فتكرار الصراخ والعنف والهيجان المدمر ورؤية الأشكال الوحشية اليومي يفرض نفسه خالقاً جواً من الذعر، ويغير الحس الذوقي فيصبح حاجة». انتهى كلام ليليان لورسا.

حاجة دائمة وإدمان حقيقي يكتب عنه جاك بيثتوقائلاً: «لاحقاً في حياتهم عندما يتعرض أولئك الذين شاهدوا التلفاز كثيراً في طفولتهم للإخفاق والفشل وحتى العزلة، فإنهم يعودون إلى مشاهدته من جديد. لقد بدأنا نستوعب أن الذين يشاهدون التلفاز كثيراً عند نضجهم هم أنفسهم الذين تابعوه بكثرة في طفولتهم، وهنا كذلك يبدو أن فرويد مُحق، فتحزن لا نشفى أبداً مما نالنا في طفولتنا».

لم يعد التلفاز يحتل في أيامنا المكان الذي احتله سابقاً، فما كان يستخدم في أيام طفولتنا لم يعد صالحاً للاستعمال اليوم بشكله القديم. فعلى الوالدين أن يتزودوا بطاقة لا متناهية وخيال واسع ليعطوا البدائل عن مشاهدة التلفاز لأطفالهم، وعندما يكبر الأطفال فإن السلطة والحزم لا يكفيان، ويجد الكثير منهم أنفسهم وقد تجاوزتهم الأمور فيتلخون عن دورهم، ولأنهم لا يريدون الاعتراف بذلك، فإنهم يبحثون عن أعذارهم غير مقتنعين بها كذلك، هؤلاء الآباء هم بحاجة لمن يستمع إليهم ويدعمهم ويرشدهم، وليسوا بحاجة للنقد كما يحصل غالباً، وبإمكانهم أن يجدوا بين النصائح التي تقدمها لهم فيما يلي بكل تواضع ما يناسبهم، ويمكنهم أن يعدلوه ليتماشى مع وضعهم العائلي الخاص بهم؛ لأنه كما قلنا سابقاً، لا يوجد في مشكلة الشاشة الصغيرة طفل وعائلة، وإنما أطفال وعائلات!

### شاشات الفشل المدرسي

(...) يبدو أن المبالغة في مشاهدة الرائي هي أحد أسباب الفشل في المدرسة، إضافة للهياج وعدم القدرة على التركيز.

ويفسر التأثير السلبي للوقت الذي يقضونه أمام الشاشة الصغيرة النتائج غير الجيدة التي يحصل عليها «مدمنو التلفاز» عند تعرضهم لاختبارات الذاكرة إضافة لنتائجهم الدراسية: فالأطفال الذين يحصلون على أفضل العلامات في المدرسة هم الذين يخصصون أقل من خمسين دقيقة في اليوم لمشاهدة الرائي، بينما يقضي الذين يحصلون على الدرجات السيئة أكثر من ساعتين يومياً أمام التلفاز.

«يلق الأستاذ روفوقائلاً: ليس التلفاز جيداً أو سيئاً بحد ذاته. وليست المبالغة في مشاهدته هي التي يجب أن تدعونا للقلق، بقدر الطريقة التي يعيش فيها الطفل هذه المشاهدة، انبهار كامل على حساب كل حياة خلاقة للبعض، ووسيلة للخيال بالنسبة للبعض الآخر.

فلا أهمية لبقائهم أمام التلفاز ساعات في الحالة الأخيرة، وقد يكون من الأفضل لهم أن يقلبوا المحطات، فالتقليب في هذه الحالة ليس إعلامة لصحة عقلية ممتازة، ووسيلة للتخلص من السلبية والعطالة».

ما النصائح التي يمكن أن يقدمها طبيب نفسي اختصاصي بالأطفال للوالدين القلقين لدى مشاهدتهما لنتائج استطلاعاه؟

«المهم هو أن نهتم نحن كباغين بما يشاهده أطفالنا، وأن نتناقش معهم بخصوصه، هل يحصل أن نتأخر في النوم لنشاركهم

متعة مشاهدة برنامج على التلفاز معاً؟ فنوعية النوم أهم من عدد ساعاته، ونحن ننام بشكل أفضل بعد حديث جيد!»  
 كارولين هيلفندر، في عالم التربية، عدد أيار 1991م.

### نصائح واقتراحات موجهة للوالدين

- الحصول على معلومات حول محتوى ومدة ونوعية البرامج التي يشاهدها الأطفال، والتحقق من مناسبة البرنامج المختار للطفل المعني بالأمر.
- مشاركة الطفل في اختياره لما يشاهد، والاحتفاظ بحق رفض بعضه.
- التأكد من توفر وشروط مشاهدة وسماع جيدة.
- مراقبة استخدام جهاز الفيديو.
- منع تناول الطعام أثناء مشاهدة الرائي.
- مشاركة الأطفال متعتهم والاستماع لهم ومناقشتهم، ومشاهدة التلفاز معهم، السماح للأطفال باللعب وتقليد ما شاهدوه، فهذا يساعدهم على التخلص من مخاوفهم ويعينهم على استيعاب الواقع دون كبح جماح الخيال.
- الضغط على النفس لمصاحبة الطفل المشاهد للتلفاز لرؤية ما يرى، وللتدخل أحياناً لإعادة بعض الأمور إلى نصابها، ويجب منعه من رؤية المناظر المرعبة التي قد تترك بصمتها عليه دائماً.

- عدم التساهل بشأن الكوابيس التي يمكن أن يسببها الرائي، مع عدم تجاهل حقيقة أن النزاعات العائلية هي التي تدفع الأطفال للجوء للتلفاز.
- عدم استخدام الحرمان من الرائي كعقوبة، فمنع الطفل من مشاهدته ليست أفضل الوسائل لإشعاره بالمسؤولية.
- يجب أن ننوع الخيارات الثقافية المتاحة للأطفال الصغار، وأن تكون لدينا بدائل لها، يعطي الرائي الانطباع بأنه بإمكاننا التخلي عن بذل الجهد والوقت للوصول للمعرفة، ولذلك يجب الانتباه إلى عدم دخول التلفاز كمنافس للعب والمطالعة، فهو لا يمكنه أن يحل محلها.
- يجب ألا تتحول مشاهدة الرائي إلى طقس من الطقوس، وهذا يعني أن تصبح أمراً يومياً لا بد منه، ولا يمكن الاستغناء عنه كالطعام والنوم.
- تعليم الأطفال إيقاف الرائي: بالابتعاد عن المشاهدة الطويلة، والمبادرة بتحديد وقت المشاهدة!
- أما الأطفال الأكبر سناً فيجب تعليمهم كيف يستخدمون جهاز الفيديو ليستفيدوا أكثر من البرامج والوقت؛ لأن المحطات الحكومية الأقل سوءاً لا تصبح حقيقة موجهة لعموم الناس وثقافية ومفيدة إلا بعد الساعة العاشرة والنصف ليلاً، أما قبل هذا الوقت فالبحث عبارة عن مصيدة أداؤها الإثارة، وهدفها التنافس على جذب العدد الأكبر من المشاهدين.

إلى هذا الجدول من المواقف المثالية والإجراءات العملية نحن نضيف الاقتراحات المباشرة والقسرية التي تقترحها كيت مودي:

- إلغاء التلفاز نهائياً بالنسبة للأطفال الصغار جداً، وهذه الفكرة يدافع عنها بعض المختصين بالأطفال: لا يسمح بالتلفاز طالما أن الطفل لم يتعلم القراءة بعد.
- تقليل ساعات المشاهدة: ساعة في اليوم كحد أقصى.

يمكن إعطاء بعض الاستثناءات خلال عطلة نهاية الأسبوع، وعندما يكون الطقس سيئاً، بشرط أن يشاهد الأطفال والأبوان البرامج المختارة.

- بالنسبة للأطفال بين عمر 8-15 سنة: عليهم أن يقرؤوا صفحة برنامج التلفاز في مجلة من المجلات أو الجرائد، وبقلم ملون يشيرون إلى ما يرغبون برؤيته من البرامج، ثم يرتبون جدولاً لما سيشاهدونه خلال أسبوع كامل، ولكن يجب الانتباه إلى أنه لا يحق للوالدين أن يمضيا أمام التلفاز وقتاً يزيد عن الوقت المخصص للأطفال.

هذه النصائح التي جنيناها خلال مطالعتنا، والتي تتماشى مع الحس السليم، واستخدمنا بعضها مع أطفالنا فحققت بعض النجاح، وهي أفكار ليست حصرية ويمكن تعديلها بحسب الرغبة، ونحن ما فتئنا نكرر هذا.

إن هدف هذه النصائح الرئيس هو دفع الآباء للتفكير، ومنحهم الثقة والقدرة على تربية أطفالهم، وهذا الأمر لا يتم إلا بشيء من التضحية بالوقت والجهد، إضافة للاستعداد للبدل والإصغاء لما يقوله الأطفال.

إن إدمان الأطفال على التلفاز ليس إلا نتيجة للمناخ العائلي، هذا الوسط العائلي يمكنه رغم وجود التلفاز أن يتوجه نحو التحسن بمضاء عن طريق المشاهدة المشتركة للرأي كلما تمكنا من ذلك، والحوار وتبادل الأفكار مع الأطفال، إضافة للكلمات، يتبادل أفراد العائلة الذين يشاهدون التلفاز معاً العواطف والأحاسيس التي يعيشونها معاً، والحب هو كذلك إحساس، وربما هو الإحساس الأجل، وبدونه لا توجد تربية، إذأ عليكم أيها الآباء أن تشاركوا أطفالكم حياتهم وتساعدوهم وتحبوهم، وحولوا هذا التلفاز المُفرق إلى تلفاز مُوحد! ولنختتم كلامنا، فتحن نستميح سانت أكزوبيري عذراً لأننا سنتصرف قليلاً بأحد أقواله: «الحب هو أن ننظر معاً في نفس الاتجاه إلى نفس البرنامج».



«أيها الرعيان، لا يكون الذئب مخطئاً إلا عندما لا يكون الأقوى!»

جان دولا فونتتين (1621م – 1695م)

من الذئب والرعيان.

## الخلاصة

### من يخاف من الذئب الشرير؟

قبل أن ننهي هذا الكتاب، لننظر إلى التلفاز للمرة الأخيرة وبإمعان، ولنقترب منه أكثر، فماذا نرى؟ ما الصور المشرقة أو القاتمة، المألوفة المحببة أو المخيفة؟ لماذا كل هذا الاستهتار دون مغزى، وكل هذه الأمور المرعبة المولدة للكوابيس؟ ماذا يمثل هؤلاء الأبطال الرخيصون، وهذه الأخبار التي تُنقل بشكل مثير؟ ومن أين تأتي كل تكشيرات الحقد، وهذه البلاهات في الابتسامة المصطنعة التجارية؟ ولماذا هذا الذوق السقيم، ولماذا هذه السطحية المرعبة، وهذا الرفض للفهم والتحليل، وهذا الميل للأفكار المسبقة التافهة؟

أسنا نرى من خلال طيف الألوان الباهر على الشاشة صورة من أنفسنا في ذعرها الدنيء من الحياة، وفي اضطرابنا المضحك؟ أليست المخاطر التي نريد أن نحمي أطفالنا منها هي نفسها التي صنعناها بتؤدة من خلال تكوين مجتمعاتنا التي نعيش فيها؟ من أراد عالماً يتغلب فيه المال